أبي ... زائر!

من سلسلة أختي الكبرى

تأليف : سحر نجا محفوظ
رسم و تصميم : نادين فغالي

الأُخْتُ الكُبْرى تَحْمِلُ همّاً يُقْلِقُها وَيَقْلِبُ حياتَها رَأْساً على عَقِبٍ. ما مُشْكِلَتُها، وكَيْفَ تُساعِدُها "فَرَحُ" دونَ أنْ تَعْلَمَ أَنَّها قَدَّمَتْ خِدْمَةً لِلْعائِلَةِ كُلِّها؟

من سِلْسِلَةِ "حَكايا مِنْ أَيّامي"، والتي نُقَدِّمُ فيها قِصَصاً واقِعِيّةً حَدَثَتْ لِلْبَعْضِ منّا، مع تَغْييرِ المَكان والزَّمان والْأَسْماء.

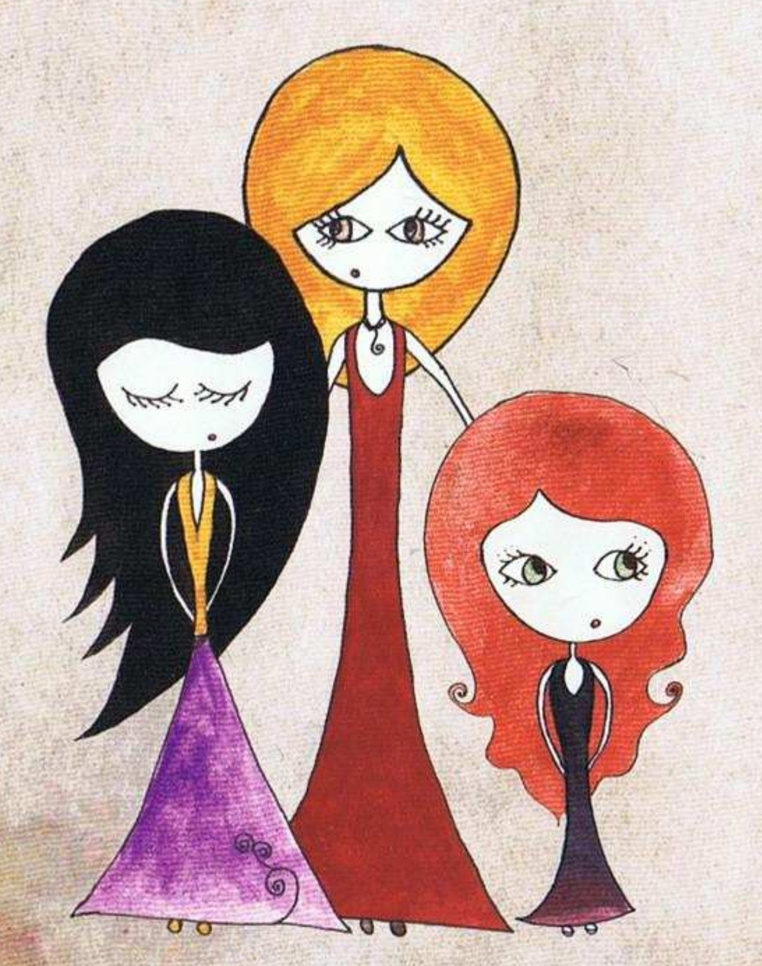
هذه القِصَصُ وَالحَكايا تُحاوِلُ أَنْ تَقْتَرِبَ مِنْ عُقولِ وَقُلوبِ المُراهِقين، لِتَرْوِيَ بِأَلْسِنَتِهِم تَجارُبَهَم الشَّخْصِيَّةَ مع إِخْوَتِهِمْ أَوْ أَصْدِقائِهِم أَوْ أَقارِبِهِمْ، في البَيْتِ وَالْمَدْرَسَةِ وَالْحَياةِ العامَّة.


ISBN 614-402-347-1
9 786144 023471
Book # A 566
أصالة
للنشر والتوزيع

أبي... زائر!

تأليف : سحر نجا محفوظ

رسم و تصميم : نادين فغالي



إهداءٌ خاصٌ جداً إلى زَوْجي العَزيزِ... نَفْرَحُ بِوُجودِكَ بَيْنَنا

دار النهضة العربية
أصالة للنشر والتوزيع – طبعة أولى 2010
ISBN: 978-614-402-347-1

تلفون: 093 736 1 961+
فاكس: 071 736 1 961+
ص.ب.: 11/3434
الزيدانية، بناية كريدية – بيروت، لبنان
infos@asala-publishers.com

كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ أُخْتي (ميرنا) حَساسَةٌ جداً، وعاطِفِيَّةٌ كَثيراً،
وأَحْياناً لا أَفْهَمُ ذلك. لا أَفْهَمُ سَبَبَ بُكائِها على أُمورٍ أَراها تافِهَةً وبَسيطَةً.
رُبَّما كُنْتُ أَنا التّافِهَةَ والبَسيطَةَ حينَها !!
حساسيَّتُها الزّائِدَةُ هذه أَقْلَقَتْ أُمّي، وأَزْعَجَتْني لأنّني لم أَكُنْ أَسْتَطيعُ
أنْ أَمْزَحَ معَها كما تَعوَّدْتُ أو أنْ أُناقِشَها في أَيَّةِ مَسْأَلَةٍ،
وهذا ما لا أَحْتَمِلُهُ عادةً . . . أبداً.

"تَغيَّرَتْ (ميرنا) مُؤَخَّراً" شَكَتْ أُمّي لِخالَتي التي تُحبُّ أُخْتي كَثيراً،
ولكنْ لم يُقْلِقْها الأَمْرُ لِثِقَتِها الكامِلَةِ بها !! نعمْ، تَغَيَّرَتْ أُخْتي الكُبْرى،
مع أنّها ما زالَتِ الإنْسانَةَ المُهَذَّبَةَ والطَّيِّبَةَ التي اكْتَشَفْتُها مُؤَخَّراً

ولكِنَّها دائِمَةُ التَّفْكيرِ والشُّرودِ
أَسْمَعُها تَبْكي وَحيدَةً لَيْلاً



وعِنْدَما أَدْخُلُ غُرْفَتَها تَتَظاهَرُ بالنَّوْمِ وَتُخْفي وَجْهَها بالغِطاءِ،
وكَأَنَّني ساذَجَةٌ إلى هذا الحَدِّ!!
"لقدْ تَعلَّمْتُ منكِ المُواجهةَ والحِنْكَة" فَكَّرْتُ بهذا وأنا أَقِفُ وَسَطَ غُرْفَتِها رَغْمَ
اعْتِراضِها وطَلَبِها منّي الخُروجَ. ثَبَتُّ في مَكاني ولم أُثِرْ أَيَّةَ ضَجَّةٍ حتى ظَنَّتْ
أَنّني غادَرْتُ الغُرْفَةَ، فَرَفَعتِ الغِطاءَ عنْ وَجْهِها المُحْمَرِّ المَليءِ بالدُّموعِ
وتَفاجَأَتْ بي أَقِفُ مِثْلَ التِّمْثالِ، "أَمُّ الهَوْلِ" رُبَّما!!

"والآنَ مَنِ الأَذْكى يا (مرمورة)؟"
سَأَلْتُها بِلُؤْمٍ واضِحٍ وانْتِصارٍ.

ابْتَسَمَتْ وعَدَّلَتْ جِلْسَتَها ودَعَتْني لِلْجُلوسِ بِجانِبِها. علاقَتُنا القَوِيَّةُ هذه، والتي أَفْتَخِرُ بها كثيراً، جَعَلَتْنا نَبوحُ بأَسْرارِنا لِبَعْضِنا البَعْضِ. أَبوحُ أنا وهي تستمع...

لأَوَّلِ مَرَّةٍ تَتَأَهَّبُ هي لِلْكَلامِ من كُلِّ قَلْبِها وعَقْلِها،
وأَتَحَضَّرُ أنا لِلاسْتِماعِ، ورُبَّما لِلنُّصْحِ أَيْضاً. لِمَ لا؟
فقد كَبِرْتُ وأَدْرَكْتُ الكَثيرَ مِنَ الأُمورِ في الفَتْرَةِ الماضِيَةِ.

بدأتْ بالتَّحدُّثِ عن أُمّي أوَّلاً،
وكَيْفَ أنَّها تتحمَّلُ مسؤوليَّتَنا
بكُلِّ صَبْرٍ ومَحَبَّةٍ،

"ولكِنَّ حَمْلَها ثقيلٌ جدّاً" أضافتْ.

بالفِعْلِ أُمّي تَصْحو باكِراً لِتَحْضيرِنا إلى المَدْرَسَةِ، ثم تَذْهَبُ إلى السّوبَرْماركِتْ القَريبَةِ منَ المَنْزِلِ لِتأمينِ احْتِياجاتِ المَنْزِلِ والطَّعامِ، وأَحْياناً تَضْطَرُّ لِلْوُقوفِ في طابورٍ طويلٍ لإنْهاءِ بَعْضِ المُعامَلاتِ الخاصَّةِ بالمَنْزِلِ أوْ بِمَدْرَسَتِنا.
تُحَضِّرُ لنا أشْهى الطَّعامِ، تُتابِعُ دِراسَتَنا، تَأْخُذُنا إلى السّوقِ، لأنَّ الـ Shopping أصْبَحَ هامّاً عِنْدي أَيْضاً، تَسْتَقْبِلُ الضُّيوفَ أو تَزورُ الأَقارِبَ وخاصَّةً جَدَّتي الحَبيبَةَ وخالَتي العَزيزَةَ (أُمّ وليدٍ).

يا إلهي... بَعْدَ تَعْدادِ مَهامِّ والِدَتي عَرَفْتُ قيمَتَها أكْثَر وَتَأكَّدْتُ أنَّنا لا نَحْتَمِلُ غِيابَها ساعَةً واحِدَةً عنّا.

كَيْفَ تجرَّأْتُ على إغْضابِها يَوْماً

ما الذي كُنْتُ أُفكِّرُ بِه؟ سَوْفَ أتأسَّفُ لها لاحِقاً وأُحاوِلُ مُساعَدَتَها كما تَفْعَلُ (ميرنا)، إنْ لم يَكُنْ لَدَيَّ عَمَلٌ آخَرُ بالطَّبْعِ!!

لأَعُدْ إلى حَديثِ أُخْتي الكُبْرى.
"مَنْزِلُنا كَبيرٌ وَواسِعٌ، وهذا جيِّدٌ. ولكنَّني أُحِسُّهُ ضَيِّقاً يَخْنُقُني خاصَّةً لَيْلاً. أُمّي تُقفِلُ الأبوابَ والنَّوافِذَ، وتَتَأكَّدُ من إقْفالِها مَرّاتٍ ومَرّاتٍ خِلالَ اللَّيْلِ، ألا تُحسّينَ بذلك؟" قالَتْ (ميرنا).
هَزَزْتُ رَأْسي مُوافِقَةً، أو رُبَّما مُسْتَمِعَةً لا أكْثَر.
فَكَيْفَ تُلاحِظُ أُخْتي ذلك بَعْدَ أنْ تَنامَ!!
أنا أَكونُ في سُباتٍ عَميقٍ مع أَحْلامٍ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ.
لم أَفْهَمْ مَقْصَدَها حتّى تِلْكَ اللَّحْظَةِ.

"ألا ترَيْنَ يا (فَرَح) أنَّنا لا نَذْهَبُ كَعائِلَةٍ إلى الجَبَلِ
أو البَحْرِ أو حتّى إلى السّينما ، خاصَّةً في عُطْلَةِ نِهايَةِ الأُسْبوعِ؟
طَبْعاً أَحْياناً يَأْتي خالي الحَبيبُ ويَأْخُذُنا جَميعاً مع عائِلَتِهِ ،
نَسْتَمْتِعُ مَعَهُ ، **هل هذا يَكْفي؟**
نَحْنُ لسْنا أيْتاماً ، والحَمْدُ لله لَدَيْنا أمٌّ وأبٌ رائِعان ،

ولكنْ أيْنَ هيَ عائِلَتُنا؟؟"



قالَتْها وبَكَتْ كَما لم تَبْكِ سابقاً . دَفَنَتْ وَجْهَها بِيدَيْها النّاعِمتَيْنِ ، دمَعَتْ عَيْناي أيْضاً وبَكَيْتُ قليلاً ، أَظُنُّ من صَوْتِ بُكائِها!! حتّى تِلْكَ اللَّحْظَةِ لم أَكُنْ قَدْ كَوَّنْتُ صورةً واضِحَةً عمّا تُفَكِّرُ به . فارِقُ العُمْرِ بَيْني وبَيْنَها جَعَلَ من إمْكانيَّتي على اسْتيعابِ كَلامِها بَطيئاً جِدّاً ،

أَحْسَسْتُ أنَّني بَلْهاءُ تَماماً ، فَهِيَ تُريدُ مُشارَكتي فِكْرَتَها وها أنا ما زِلْتُ أَجْلِسُ قُرْبَها أَنْتَظِرُ النِّهايَةَ والمَغْزى منَ الكَلامِ . رَأَيْتُ أنَّهُ لا بُدَّ لي من احْتِضانِها وَضَمِّها إليَّ بِقُوَّةٍ . عَزيزَتي أُخْتي ، كَمْ أَنْتِ تَعيسَةٌ وتُخَبِّئينَ أَفْكارَكِ بداخِلِكِ!!

حَسَناً ، أُمّي تَفْعَلُ المُسْتَحيلَ لإرْضائِنا كما قالَتْ ، ووالِدي الذي يَعْمَلُ خارِجَ البِلادِ يُؤَمِّنُ لنا كُلَّ طَلَباتِنا مَهْما كانَتْ ، فما الذي يُزْعِجُها في ذلِكَ!! مِنْ جِهَتي فأنا فَرْحانَةٌ وأَرى أنَّنا أَفْضَلُ حالاً من الكثيرين في حَيِّنا .

يَبْدو أنَّ الأَمْرَ مُعَقَّدٌ قليلاً . أنا أُحِسُّ نَفْسي مَحْظوظَةً ، فَوُجودُ أُمّي مَعَنا وَهَرْوَلَتُها لِتَأْمينِ احْتِياجاتِنا ، وَوُجودُ أبي خارِجَ البِلادِ ولَهْفَتُهُ لإرْسالِ ما نُريدُ إلَيْنا ، كُلُّ هذا يُفْرِحُني ، أو كانَ يُفْرِحُني حَتّى فَتَحَتْ لي أُخْتي الكُبْرى قَلْبَها وبَدَأَتْ تُقْلِقُني من هذا الوَضْعِ .

بَدَأْتُ أَتَذَكَّرُ أنَّ والدي لم يَكُنْ مَوْجوداً في عيدِ ميلادي الأخيرِ ، بَلْ في عيدِ ميلادي مُنْذُ أَكْثَرَ من خَمْسِ سَنَواتٍ ، كانَ يَتَّصِلُ طَبْعاً . لم يَكُنْ مَوْجوداً عِنْدَما تَعَلَّمْتُ رُكوبَ الزَّلّاجاتِ أَوْ أَخَذْتُ دُروساً في السِّباحَةِ . لم يُعْطِ رَأْيَهُ في إمْكانِيَّةِ أنْ تَفْتَحَ (ميرنا) صَفْحَةً لها على Facebook كما فَعَلَتْ صَديقاتُها .

آه ، متى يُصْبِحُ عُمْري أكْثَرَ من 15 سَنَةً وَيَحِقُّ لي ذلك أَيْضاً!! لقد كانَتْ أُمّي تَتَحَمَّلُ أَعْباءَنا وتقومُ بِدَوْرِها إضافَةً إلى دَوْرِ والِدي .

تذكَّرتُ أنّني فعْلياً كُنْتُ أنْتظِرُ والدي بلهْفةٍ ليَعودَ من سَفرِه خلالَ عُطلته لأرى الهدايا التي جلَبها لي وأتأكّد من ذوْقه. ورغْم حُبّي الشّديد له وشوْقي الدّائم لرؤْيته، إلاّ أنّني قد تعوّدْتُ على عدمِ وُجوده. فكّرْتُ بكلّ ذلكَ في عقْلي،
ولكنْ أفلتَتْ منّي فكْرةٌ سمِعتْها أُخْتي بعْدما قُلْتُها بصوْتٍ عالٍ

"يا إلهي... والِدي مُجرَّدُ زائرٍ!!"

حينَها ارْتعَشتُ وبكَيْتُ منَ الفكْرةِ، فاقْتربَتْ منّي (ميرنا)
وحَضنتْني وهَمسَتْ في أُذني
"الآنَ فقطْ فهِمْتِ ما أشْعرُ به بالضّبْط".

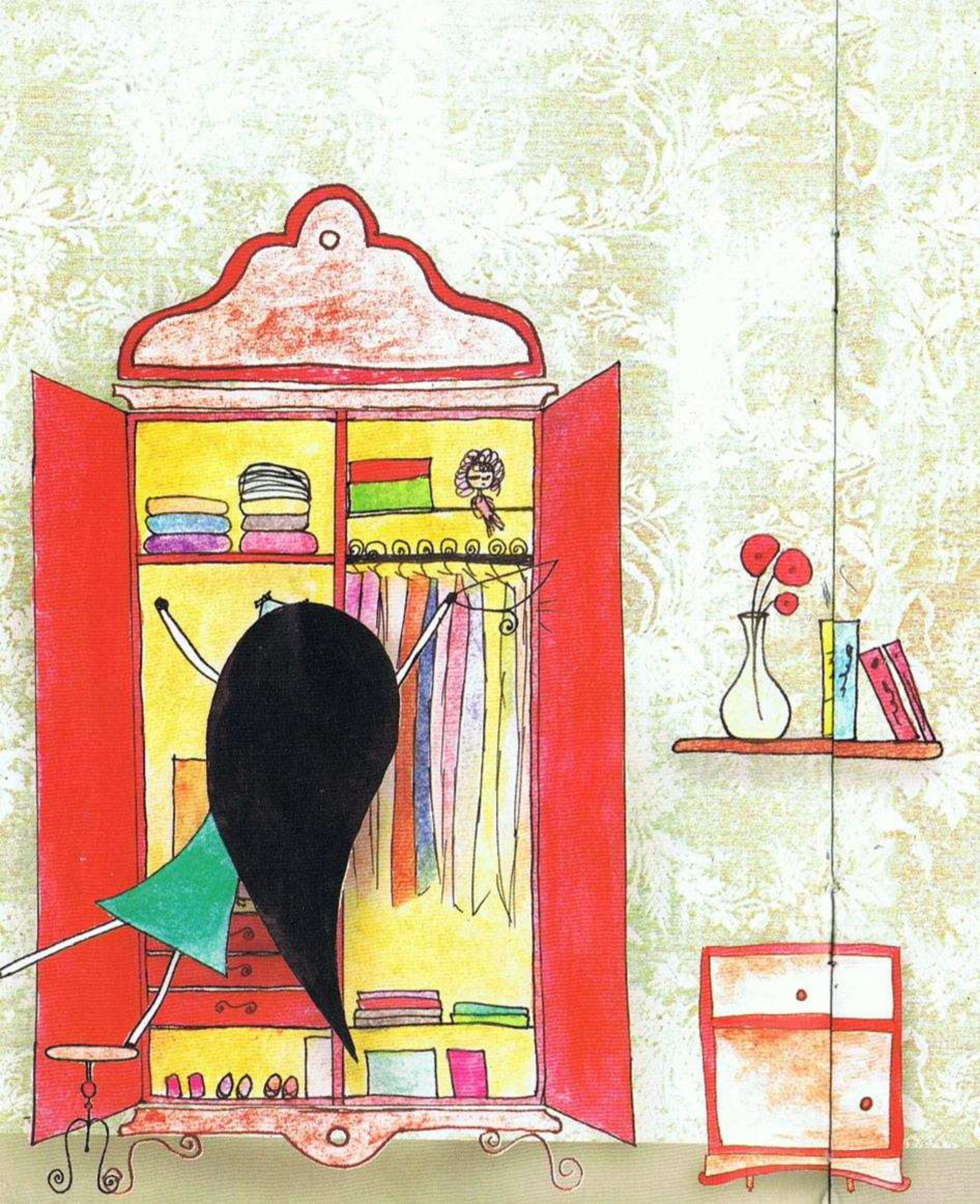
نعَمْ، فهِمتُ وأصبحَ سرُّها سرّي وهَمُّها همّي. أحسّتْ أُمّي بنا بعْدَ فتْرةٍ. انْتبهَتْ إلى أنّنا نجْلسُ بصمْتٍ إلى طاولةِ الطّعام ونتبادلُ النّظراتِ، ونبْقى كثيراً في غُرْفةِ أُخْتي لوَحْدنا. لم نسْتطعِ البَوْحَ بما لدَيْنا...
يكْفيها ما فيها!!

خطَّطْتُ لفِكْرةٍ في رأسي وبدأْتُ تنْفيذَها. أرْسلْتُ إلى والدي رسالةً إلكترونيّةً Email، لأنّهُ أعطاني عنْوانَهُ سابقاً وكانَ يطْلُبُ منّا إرْسالَ صُورِنا إليْه في كُلّ مُناسبةٍ. صُوَرُنا... هلْ كانَتْ تكْفيه في غُرْبتِه؟؟ لا أعْتقدُ ذلك.

قُلْتُ لهُ إنّنا اشْتقْنا إليْه ولا نسْتطيعُ العَيْشَ من دونه،
أخْبرْتُهُ أنّنا بحاجةٍ إليْه وإلى عطْفِه
ومَشورتِه، إلى حزْمِه معَنا
وقراراتِه. غريبٌ أنْ نشْتاقَ لذلك،
ولكنّنا بالْفعْلِ نُريدُ عَوْدةَ
الحزْمِ إلى حَياتِنا.
هل أقولُ أنا هذا الكَلامَ
فِعْلاً... غريب!

كانَ ردُّه سَريعاً
ومَليئاً بعِباراتِ
المَحبّةِ والشّوْق،
ولكنّهُ شرَحَ لي أنّهُ
مشْغولٌ كثيراً في عمَلِه،
ولا بُدَّ له مِنَ التّواجُدِ
في مَكْتبِه لفَتْرةٍ طَويلةٍ.

إذاً هو لنْ يأْخُذَ إجازةً...
حَسناً، الخُطْوةُ التّاليةُ.



ياآه.. لم أُخَطِّطْ لِخُطْوَتي التَالِيَةِ !!
لكِنَّها أَتَتْ على "طَبَقٍ مِنْ ذَهَبٍ"

كما أَسْمَعُ منْ أُمّي وجارَتِنا عِنْدَما تَتَحَدَّثانِ في السِّياسَةِ التي أَكْرَهُها. صَحيحٌ أنَّ الخُطْوَةَ هذه أَتَتْ بَعْدَ أَزْمَةٍ ومُشْكِلَةٍ لم أَكُنْ أُريدُ وُجودَها بالطَّبْعِ، ولكِنَّها أَيْضاً فَتَحَتِ الطَّريقَ لِتَغْييرِ واقِعِنا الأَليمِ الذي لم نَعُدْ نُطيقُهُ.

تَدَهْوَرَتْ صِحَّةُ (ميرنا) كَثيراً، ولم تَعُدْ تُطيقُ الطَّعامَ والشَّرابَ. كُنّا نُطْعِمُها بالقُوَّةِ. وفي أَحدِ الأَيّامِ بَيْنَما كانَتْ تَتَسلّى بتَرْتيبِ خِزانَةِ غُرْفَتِها (يا لَلْغَرابَةِ، ما هذه الهِوايَةُ الجَديدَةُ!!)، سَقَطَتْ عنِ الكُرْسِيِّ فَهَوَتْ على الأَرْضِ بِعُنْفٍ وكَسَرَتْ ساقَها.

رَكَضْنا لِنَنْقُلَها إلى المُسْتَشْفى، أَخَذَتْنا جارَتُنا العَزيزَةُ، وفي الطَّريقِ أَخْبَرْتُ أُمّي عمّا تُعانيهِ أُخْتِي الكُبْرَى التي كانَتْ تَفْقُدُ الوَعْيَ لِلَحَظاتٍ ثم تَصْحو مُتَأَلِّمَةً. صَمْتٌ فَظيعٌ خَرَقَتْهُ تَأَوُّهاتِ (ميرنا) قَبْلَ أنْ نَصِلَ إلى غُرْفَةِ الطَّوارئِ.

نامَتْ لِساعاتٍ كَثيرَةٍ بَعْدَ الحادِثِ، وَجَلَسْنا أُمّي وأنا نَتَكَلَّمُ وَنَتَكَلَّمُ، لم أَمَلَّ من جُلوسي مَعَها أَبَداً. تفاجَأْتُ من نَفْسي، نَعَمْ، ولكِنَّني كُنْتُ في غايَةِ السَّعادَةِ لاسْتِطاعَتي كَشْفَ السِّرِّ الذي عانَيْتُ كَثيراً من أَجْلِ كِتْمانِهِ. أَمْسَكَتْ أُمّي هاتِفَها واتَّصَلَتْ بوالِدي على عَجَلٍ. سَمِعْتُها تَطْلُبُ مِنْهُ أَخْذَ إجازَةٍ والمَجيءَ إلَيْنا. كانَ يَبْدو مُتَرَدِّداً لأنَّهُ يَتَحَمَّلُ مَسْؤوليات كَبيرَةً هناك، ولكنَّها قالَتْ له بِحَزْمٍ **"نَحْتاجُكَ هُنا فَوْراً، ميرْنا تَعَرَّضَتْ لِحادِثٍ وَتَسْأَلُ عَنْكَ باسْتِمْرار"**. يَبْدو أنَّ اسْمَها فَقَطْ جَعَلَهُ يُقَرِّرُ تَرْكَ كُلِّ شَيْءٍ والسَّفَرَ إلَيْنا. كم هي مَحْظوظَةٌ!! وأنا أَيْضاً لأنَّني أُخْتُها الصُّغْرى.

وَصَلَ والِدي صَباحَ اليَوْمِ التّالي والقَلَقُ بادٍ على وَجْهِهِ. كانَتْ (ميرْنا) لا تَزالُ في المُسْتَشْفى ولكنْ فَقَطْ لِلْعِنايَةِ والتَّأَكُّدِ من سَلامَتِها. أَتى من المَطارِ مُباشَرَةً إلَيْنا، دَخَلَ الغُرْفَةَ، وَضَعَ حَقيبَتَهُ على الأَرْضِ وَرَكَضَ نَحْوَها لِيَحْتَضِنَها وَيُقَبِّلَ جَبينَها بِعاطِفَتِهِ التي نَعْرِفُها. اِلتَفَتَ إلى والِدَتي، حَضَنَها واعْتَذَرَ من عَدَمِ وُجودِهِ مَعَنا خِلالَ الحادِثِ، نَظَرَ إلَيَّ باسْتِغْرابٍ وَتَقَدَّمَ نَحْوي وقالَ بَعْدَ أنْ قَبَّلَني أيْضاً من وَجْنَتَيَّ "مرَّتْ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ لَمْ أَرَكِ فيها وكأنَّها أَرْبَعُ سَنَواتٍ، لقد كَبِرْتِ وتَغَيَّرْتِ، تبدين رائِعَةً وَواعِيَةً تَماماً". نَعَمْ، لقدْ لاحَظَ ذلك، يايْ!!!

أتى خالي وَزَوْجَتُه وكذلكَ خالَتي لِزِيارَةِ (ميرْنا) حَبيبَةِ العائِلَةِ الصَّبيَّةِ الرّائِعَةِ ... أَحْسَسْتُ أنَّ لَدَيَّ أجْمَلَ عائِلَةٍ في الدُّنْيا. أبي وأُمّي وأُخْتي.. كمْ أُحِبُّكُمْ.

مَكَثَ مَعَنا والِدي حَوالَى الأَسْبوعَيْنِ كانَتْ خِلالَهُما (ميرْنا) تَتَماثَلُ لِلشِّفاءِ من "مُشْكِلَتِها"، ولكنَّ الكَسْرَ في ساقِها سَيَحْتاجُ إلى ثَلاثَةِ أَشْهُرٍ حتّى يَلْتَئِمَ. وَضَعَتْ صَديقاتُها على جَبيرَتِها الرَّسائِلَ المُضْحِكَةَ والرُّسوماتِ الرّائِعَةَ. خِلالَ وُجودِ والِدي، أَخَذَني مَعَهُ في نُزْهاتٍ كَثيرَةٍ واشْتَرى لي عَدَداً كبيراً من الحاجياتِ التي لمْ أَطْلُبْها من أُمّي سابِقاً. كانَتْ دائِماً والِدَتي تَرْمُقُني بِنَظْرَةِ عَتَبٍ لأنَّني أَجْعَلُ والِدي يَصْرِفُ الكَثيرَ من المالِ على أُمورٍ لم تَكُنْ مُهِمَّةً في حِينِها. لم أَكْتَرِثْ إلّا عِنْدَما كَلَّمَتْني مُباشَرَةً وأَفْهَمَتْني أنَّهُ يَتْعَبُ كَثيراً في عَمَلِهِ لِلْحُصولِ على المالِ، ولِهذا يَجِبُ ألّا أَسْتَغِلَّ مَحَبَّتَهُ لي لِلْحُصولِ على هذه الأَغْراضِ التي رُبَّما لن أَسْتَخْدِمَها. كَيْفَ كانَتْ لِتَعْلَمَ أنّني فَقَطْ أَشْتَريها لأَحِسَّ بِوُجودِهِ قُرْبي!!



في أَحد الأيّام رَأيْتُ والدي يَجْلسُ مع خالي في صالون المنْزل، ثُمَّ أَغْلق الباب حين لَمحَني أَنْتَظِرُ حَديثَهما. يا لحشْريَّتي هذه، تُحْرِجُني دائماً!! خَرجَ خالي مُرْتاحاً وَسَعيداً وابْتَسَمَ لي بطَريقَة لم أفْهَمْها. خالي يُضْحكنا دائماً ويَلْعَبُ مَعَنا كَثيراً، ولكنَّ ابْتسامَتَهُ كانَتْ جدِّيَّةً هذه المرَّة، كانَتْ مُخْتَلفَةً تَماماً.

جاءَ مَوْعدُ سَفرِ والدي وَعودَته إلى عَمَله. بكَتْ (ميرْنا) كَثيراً ولم تَكُنْ تُريدُ تَرْكَ يَدَيْه. أَوْصَتْهُ أُمّي بنَفْسه وَطَمْأَنَتْهُ إلى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَيكونُ على ما يُرامُ في غيابه. أَخَذَني جانباً ليُوَدِّعَني، ولكنَّه هَمَسَ لي بجُمْلَة لن أنْساها أَبدا

"ما كَتَبْتِه في رَسائلك كانَ صَحيحاً ولم أَنْتَبِهْ إلى ذلك حتّى الآن. فَقَدْ ساعَدْتِني في اتِّخاذ قراري. شُكْراً صَغيرَتي".

صَغيرَتُه لم تَفْهَمْ هذه الأُحْجيَة، فهِمْتُ فَقط أَنّني فَعَلْتُ الصَّوابَ عِنْدَما راسَلْتُه وأَلحَّيْتُ عَلَيْه لزيارَتنا.

آآآآآه يا رَأْسي، لمَ تَتَكلَّمونَ بالأَلغاز؟؟

عادَتْ حَياتُنا كَما كانَتْ سابقاً، اكْتئابٌ لم يفارقْ أُخْتي، هُمومٌ وَمَسْؤوليّاتٌ تُلاحقُ والدَتي، نُضْجي في التَّفْكير مع بَعْض التَّصَرُّفات الطُّفوليَّة التي كانَتْ تُميِّزُ شَخْصيَّتي. نعَمْ، تُميِّزُها. فلَوْ كُنْتُ جدِّيَّةً في كُلِّ شَيْءٍ لأَصْبَحَ مَنْزلُنا كابوساً. لقد كُنْتُ أَنْتزِعُ الابْتسامَةَ من أُمّي، وَأُسلّي أُخْتي كَثيراً حينَ لا تَكونُ مُنْهَمكَةً في دُروسها، فَهيَ في سَنَتها الأَخيرَة واقْتَرَبَتْ منْ دُخول الجامعَة. ياه... أَمامي مشْوارٌ طَويلٌ لأَصلَ إلى هذه المَرْحَلَة!!

فَجْأَة، وفي لَيْلَة هادئَة من لَيالي الرَّبيع في هذه المَدينَة المُبْتَسِمَة (أَصْبَحْتُ أَكْتُبُ شعْراً الآنَ!!)، رَنَّ هاتفُ المنْزل.

رَكَضْتُ كَعادَتي لأَرُدَّ ولكنَّ أُمّي سَبَقَتْني إلَيْه، فَقَدْ كانَ بقُرْبِها تماماً. عَرَفْنا أَنَّ المُتَّصلَ هو والدي الحَبيبُ، ثمّ ما لَبِثَتْ أَنْ ضَحكَتْ أُمّي بشَكْلٍ لم أَسْمَعْهُ مُنْذُ زَمَن، كانَتْ تَقولُ "ولكنْ كَيْفَ ذلك يا حُسامُ؟ لم أَفْهَمْ تَماماً ما تَقْصُدُ!!". كانَتْ فَرحَةً كَثيراً وَمُرْتَبكَةً أَكْثَر. أَغْلقَتْ سَمّاعَةَ الهاتف وهيَ تَرْتَجفُ، نَظَرَتْ إلَيْنا وَرأَتْ في أَعْيُننا مليون سُؤالٍ بلا إجابَة. قالَتْ باخْتصارٍ شَديد

"والدُكُمْ قَرَّرَ تَرْكَ عَمَله في الخارج والعَوْدَةَ للْعَيْش مَعَنا هُنا، لَقَدْ رَتَّبَ الأُمورَ مَعَ خالكُمْ. سَوْفَ يَأْتي غَداً صَباحاً".

هايْ، يوبي، قَفَزْنا من مَكانِنا وَرَقَصْنا بطَريقَة غَريبَة خاصَّة مع الجَبيرَة على ساق أُخْتي، رَكَضْتُ بَيْنَ غُرَف المنْزل الذي اشتاقَ لصَوْته وَوُجوده مثْلَنا تماماً، تَحَدَّثْتُ مَعَ الجدْران وَالكُتُب والخَزائن، أَبْلَغْتُهُمْ أَنَّ والدي قادمٌ للْعَيْش هُنا، طَمْأَنْتُهمْ إلى أَنَّهُمْ سَوْفَ يَرونَهُ يَوْمياً، جُنِنْتُ رُبَّما!!



علت الفرْحَةُ وَجْهَ "مَرْمورَة الأمّورَة" كما كانَتْ عِنْدما أتى لزيارتنا في المرَّةِ الأخيرَة.
لا مَزيدَ من الكَآبَةِ والهُمومِ، والدي آت ليَحُلَّ مَشاكلَنا. ولكنْ هلْ يَعْني هذا عدَمَ حُصولي على كُلِّ ما أطلُبُه!! هممم، لا فرْقَ عِنْدي،

فَوُجودُه أَهَمُّ منْ أَيَّةِ هَدايا أو أَلْعابٍ.

غداً يأْتي والدي ومَعَه أجْمَلُ هَديَّةٍ لنا...
(حُسام) الذي لنْ يَمْلأَ مَكانَهُ أحَدٌ...

لنْ أنامَ اللّيلَةَ...

لقد ساعَدْتُه في القرار...
كبِرْتُ وأحْسَنْتُ التَّصَرُّفَ.

لا، يَجبُ أنْ أنامَ لأكونَ مُشْرِقَةً صباحَ الغَدِ، سَوْفَ أَذْهَبُ معَ أُمّي وَخالي إلى المطارِ لاستِقْبالِه طالما أنَّهُ يَوْمُ العُطْلَةِ الأسْبوعيَّة.

كَفاني أَفْكاراً الآنَ، سَوْفَ أَتوَقَّفُ عن كتابَةِ مُذكَّراتي حالِياً... هذه حِكايَةُ والِدي الزّائِر..



أبي ... زائر!

من سلسلة أختي الكبرى

تأليف : سحر نجا محفوظ

رسم و تصميم : نادين فغالي

